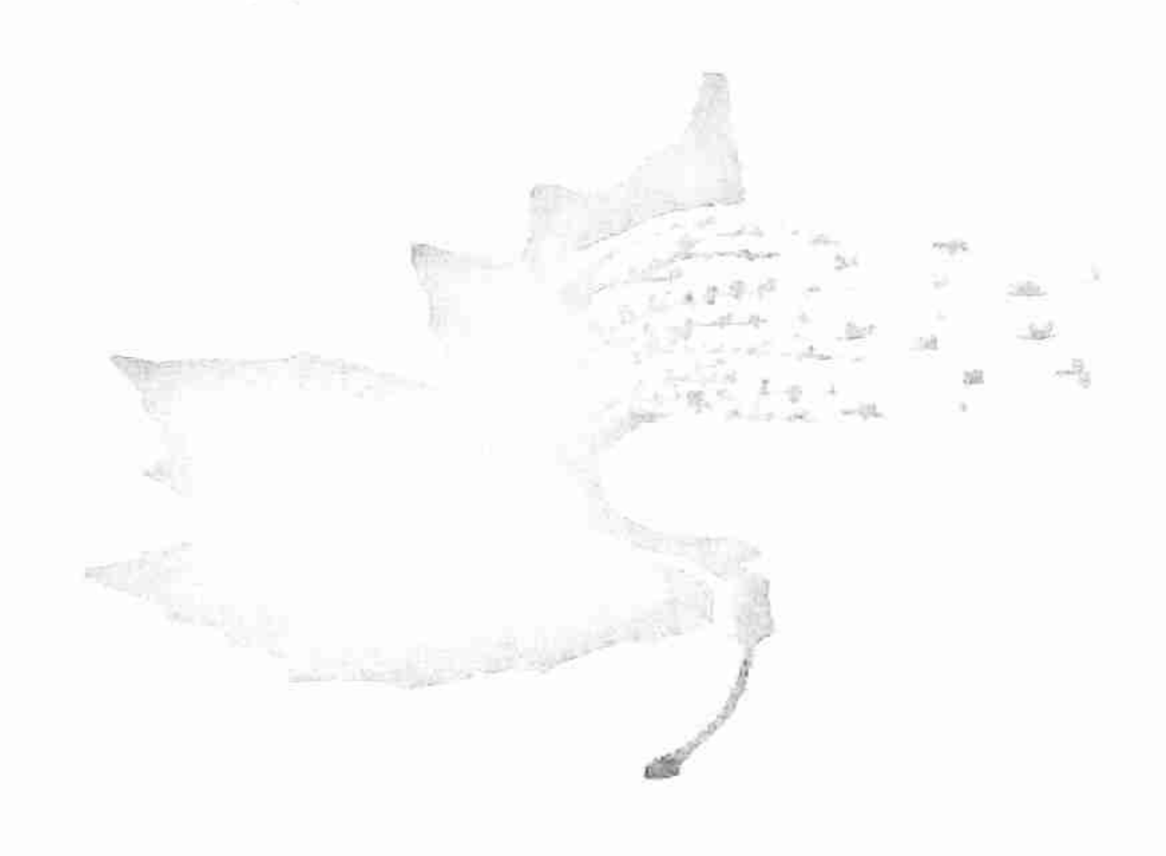
العشر الأخيرة



د. محمد بن موسى الشريف

العشر الأخيرة



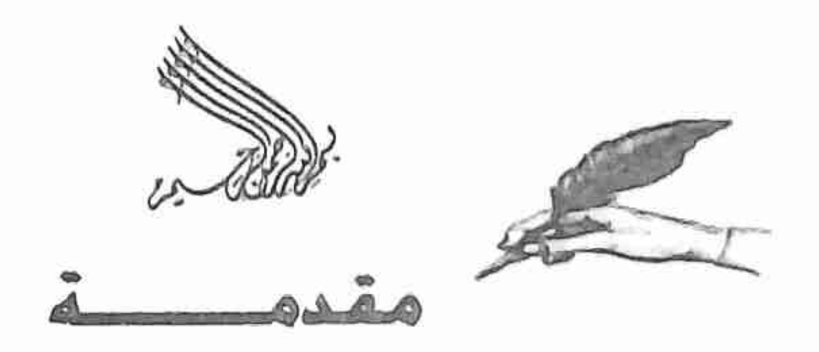
تأليف

محمد موسى الشريف

الطبعة الأولى للناشر
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

رقم الإيداع: ١٦٥٤٤ /٢٠١٧
الترقيم الدولي: 5 - 68 - 6581 - 977 - 978

مركز إبصار للنشر والتوزيع
القاهرة – العجوزة - شارع المنتصر
محمول:00201143749293
E.mail:ebsar2015@Gmail.com



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن المرء في عمره كله يتنقل في أطوار ثلاثة مهمة:

من طور الصبا إلى الفتوة والشباب.

ومن طور الشباب إلى سن الأربعين، وما بعدها.

ثم في طور الستين وما بعدها.

فأما الطور الأول ففيه يعقل المرء ما حوله، ويتلمس طريقه، ويبدأ في سلوك أحد النجدين، والميل إلى واحد من الفريقين، وفي هذه المرحلة - غالبًا - يبني قناعاته ونظرته إلى الحياة، وإلى الناس، التي ستلازمه - غالبًا - إلى أن يلقى الله تعالى.

وأما الطور الثاني - طور الأربعين وما بعدها - فإن المرء -غالبًا- يراجع نفسه كثيرًا، ويتوقف طويلًا ليفكر في شأنه وأحواله، وبعض الناس يغير من سلوكه وطرائق حياته جزءًا أو كُلًا.

وأما الطور الثالث فإن المرء إذا بلغ الستين فإنه يحيط به أكثر من واعظ، وتناديه عدة نُذُر، ويفكر في الموت كثيرًا.

هذا وقد كتبت قديمًا في الطور الثاني رسالة «جدد حياتك: رسالة لمن جاز الأربعين».

فرأيت أن أكتب رسالة في الطور الثالث، وذلك لعدة أسباب:

أولًا: أعظ بها نفسي، فأنا قريب من الستين أزحف إليها وأراها ماثلة أمام عيني، وما أصعب هذا وأشقه عليّ لكن هي السنن التي لا تغادر أحدًا إلا وسلكته في نظامها.

ثانيًا: أعظ بها إخواني من أترابي وأقراني، وممن سبقني إلى بلوغ الستين لعلهم أن يجدوا فيها شيئًا مفيدًا لهم.

ثالثًا: لم أجد رسالة في هذا المعنى مطبوعة متداولة فأردت أن أسد ثغرة في هذا الموضوع المهم.

وقد سميتها «العشر الأخيرة» استنادًا إلى قول النبي ﷺ:

«أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك» وسيأتي الكلام على الحديث إن شاء الله تعالى في صُلب الرسالة.

فمن ابتدأ الستين فقد شرع في عشر السنوات الأخيرة من حياته إلا أن يشاء الله له عمرًا أطول.

وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقني وإياكم

طول العمر وحسن العمل مع الصحة والعافية.

هذا والله تعالى المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به فهو الرحيم الرحمن، وصل اللّهم على سيد ولد عدنان، وأصحابه غرة الزمان، وتابعيهم بإحسان إلى يوم انتهاء الدوران، ولقاء الديان.

وكتبه حامدًا مصليًا

العبد المذنب الضعيف

محمد بن موسى الشريف

mhmalshareef@gmail.com

الموقع: www.altareekh.com

http://www.youtube.com/maltareekh

TWITTER.com/DRMOHAMMEDMH

www.facebook.com/mhmaltareekh

المبحث الأول

الكلام على الآية التي نبهت على سن الستين

المبحث الأول
الكلام على الآية التي نبهت على سن الستين

هناك آية في كتاب الله تعالى استنبط منها الأئمة أنها فيمن بلغ الستين، وهي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[فاطر: ٣٧].

قال الإمام ابن كثير[1] في هذه الآية: «أوما عشتم في الدنيا أعمارًا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟».

وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد هاهنا فروي عن علي بن الحسين زين العابدين[2] أنه قال: مقدار سبع عشرة سنة.

---

(١) هو الشيخ الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير البُصروي، عماد الدين. ولد سنة سبعمائة أو بعدها بيسير، ونشأ بدمشق، وسمع من طائفة، واشتغل بالحديث، وجمع التفسير والتاريخ، وله عدة مصنفات سارت في البلاد، وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة. توفي سنة ٧٧٤. وكان قد أضرّ في أواخر عمره: انظر «الدرر الكامنة»: ١/٣٩٩، ٤٠٠.

(٢) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، زين العابدين، ثقة ثبت، عابد، فقيه، فاضل مشهور. قال الزهري: ما رأيت قرشيًا أفضل منه. توفي سنة ٩٣ رحمه الله تعالى. انظر «التقريب»: ٤٠٠.

وقال قتادة[١]: اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نعير بطول العمر، قد نزلت هذه الآية: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾، وإن فيهم لابن ثماني عشرة سنة.

وعن وهب بن منبه[٢] في قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ قال: عشرين سنة.

وعن الحسن[٣] في قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ قال: أربعين سنة.

وعن مسروق[٤] أنه كان يقول: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة، فليأخذ

---

(١) هو الشيخ قَتادة بن دِعامة بن قتادة، أبو الخطاب السَّدوسي، البصري الضرير الأكمه - وهو مَن وُلد أعمى- حافظ عصره، قدوة المفسرين والمحدثين، ولد سنة ٦٠. وكان من أوعية العلم. وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، لأنه مدلس معروف بذلك، وكان يُرمى بالقدر، ومع هذا ما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه. توفي سنة ثماني عشرة ومائة. انظر «سير أعلام النبلاء»: ٥/٢٦٩-٢٨٣.

(٢) وهب بن منبه بن كامل، الإمام العلامة، الأخباري القصصي، أبو عبدالله، اليماني الذّماريّ الصنعاني. ولد سنة أربع وثلاثين. روايته قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات وصحائف أهل الكتاب. وكان ثقة. مات سنة أربع عشرة ومائة. انظر «سير أعلام النبلاء»: ٤/٥٤٤-٥٥٧.

(٣) الحسن البصري: الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، الزاهد العارف البليغ، من سادات المسلمين، توفي سنة ١١٠هـ، رحمه الله. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ٤/٥٦٣.

(٤) مسروق: بن الأجدع بن مالك الهَمْداني الوادعي، أبو عائشة الكوفي، ثقة، فقيه، عابد، مخضرم، مات سنة ٦٢هـ، رحمه الله. انظر: «التقريب»: ٥٢٨.

حذره من الله عز وجل.

وعن مجاهد[١] قال: سمعت ابن عباس يقول: العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾: أربعون سنة.

وهذا القول هو اختيار ابن جرير[٢]، ثم رواه من طريق عن مجاهد، عن ابن عباس قال: العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾: ستون سنة[٣].

وعن علي - رضي الله عنه - أنه قال:

العمر الذي عيرهم الله به في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ ستون سنة.

---

(١) مجاهد بن جبر الكي، أبو الحجاج، المخزومي بالولاء، ثقة. إمام في التفسير وفي العلم. مات سنة إحدى ومائة وله ثلاث وثمانون سنة، رحمه الله تعالى. انظر «التقريب»: ٥٢٠.

(٢) هو الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس. ولد سنة ٢٤٠ أو ٢٤١. كان بحرًا في العلوم ومعرفة الرجال. صنف تصانيف نفسية، وله حكايات عجيبة تدل على ورعه وولايته. توفي سنة ٣٢٧ بالري وله بضع وثمانون سنة. انظر «سير أعلام النبلاء»: ١٣ / ٢٦٣-٢٦٩.

(٣) قال ابن كثير: فهذه الرواية أصح عن ابن عباس، وهي الصحيحة في الأمر نفسه أيضًا، لما ثبت في ذلك من الحديث - كما سنورده - لا كما زعمه ابن جرير، من أن الحديث لم يصح؛ لأن في إسناده من يجب التثبت في أمره.

حديث آخر: أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه، لقد أعذر الله إليه**».

وهكذا رواه الإمام البخاري في «كتاب الرقاق» من صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعذر الله عز وجل إلى امرئ أخر عمره حتى بلّغه ستين سنة**».

ورواه البزار عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

«**العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة**». يعني: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾.

طريق أخرى - أخرجها ابن جرير- عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**لقد أعذر الله عز وجل إلى صاحب الستين سنة والسبعين**»(١).

وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة، فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين، ثم يشرع بعد هذا في النقص

---

(١) قال ابن كثير: فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق، فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت. وقول ابن جرير: (إن في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره)، لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري، والله أعلم.

والهرم، كما قال الشاعر:

إذا بلـغ الفتـى سـتين عامًـا فقـــد ذهـــب المسرة والفَتاء

ولما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله إلى عباده به، ويزيح به عنهم العلل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة»(١).

(١) تفسر ابن كثير: ١١/ ٣٣١-٣٣٥.

المبحث الثاني

الأحاديث التي فيها الكلام على الستين

المبحث الثاني
الأحاديث التي فيها الكلام على الستين

هناك ثلاثة أحاديث مهمة - وأحاديثه كلها مهمة جليلة ﷺ - فيها الكلام على الستين وبلوغ المرء إياها:

الحديث الأول:

قول النبي ﷺ: «**أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة**».

وقد أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، وبَوّب عليه بقوله:

«باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ يعني الشيب».

وقال الإمام ابن حجر(١) رحمه الله تعالى:

قوله: (أعذر الله): «الإعذار إزالة العذر والمعنى أنه لم يبق له اعتذار

---

(١) أحمد بن علي بن محمد، الأستاذ، إمام الأئمة، أبو الفضل الكناني العسقلاني المصري، ثم القاهري الشافعي، ويُعرف بابن حجر، وهو لقب لبعض آبائه، ولد سنة ٧٧٣هـ بمصر العتيقة، حفظ بعض المنظومات، وأخذ على كثير من المشايخ، وجدَّ في الفنون حتى بلغ الغاية، وأقبل على الحديث بكليته، وارتحل في طلبه، وولي عدة وظائف في الحسبة والإمام والقضاء، وله المصنفات النافعة المشهورة، توفي في القاهرة سنة ٨٥٢هـ، رحمه الله تعالى. انظر: «الضوء اللامع»: ٢/٣٦.

كأن يقول: لو مُدَّ لي في الأجل لفعلت ما أُمرت به، يقال أعذر إليه إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكنه منه، وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له فلا ينبغي له حينئذٍ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية، ونسبة الإعذار إلى الله مجازية والمعنى أن الله لم يترك للعبد سببًا في الاعتذار يتمسك به، والحاصل أنه لا يعاقب إلا بعد حجة».

قوله: (أخر أجله): «يعني أطاله حتى بلغه ستين سنة وفي رواية معمر: لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى يبلغ ستين سنة أو سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه، لقد أعذر الله إليه»[(١)].

وقال الإمام ابن بطال[(٢)]:

«إنما كانت الستون حدًّا لهذا لأنها قريبة من المعترك[(٣)] وهي سن الإنابة والخشوع وترقب المنية، فهذا إعذار بعد إعذار لطفًا من الله بعباده حتى نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم، ثم أعذر إليهم فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة، وإن كانوا فطروا على حب الدنيا

---

(١) فتح الباري: ١٥/٢٤ .

(٢) علي بن خلف ابن عبد الملك ابن بطال، أبو الحسن. عالم بالحديث من أهل قرطبة. أصله من اليمن. توفي سنة ٤٤٩ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ٢٨٥/٤.

(٣) المعترك: أي مكان المعركة، والمقصود الموت.

وطول الأمل لكنهم أُمروا بمجاهدة النفس في ذلك ليتمثلوا ما أُمروا به من الطاعة وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية».

وفي الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل، وأصرح من ذلك ما أخرجه الترمذي بسند حسن إلى أبي هريرة رفعه: **«أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك»**.

قال بعض الحكماء:

الأسنان أربعة: سن الطفولية، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، وهي آخر الأسنان وغالب ما يكون ما بين الستين والسبعين، فحينئذٍ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط، فينبغي له الإقبال على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة.

«وقد استنبط منه بعض الشافعية أن من استكمل ستين فلم يحج مع القدرة فإنه يكون مقصرًا ويأثم إن مات قبل أن يحج بخلاف ما دون ذلك»(١).

(١) فتح الباري: ١٦/٢٤ .

وقال الإمام المناويّ[١] في فيض القدير في شرح ذلك الحديث:

«أعذر الله إلى امرئ: أي سلب عذر ذلك الإنسان فلم يبق له عذر يعتذر به كأن يقول: لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به، فالهمزة للسلب. أو بالغ في العذر إليه عن تعذيبه حيث أخر أجله يعني أطاله حتى بلغ ستين سنة؛ لأنها قريبة من المعترك وهو سن الإنابة والرجوع وترقب المنية ومظنة انقضاء الأجل، فلا ينبغي له حينئذٍ إلا الاستغفار ولزوم الطاعات والإقبال على الآخرة بكليته، ثم هذا مجاز من القول فإن العذر لا يتوجه على الله وإنما يتوجه له على العبد، وحقيقة المعنى فيه أن الله لم يترك له شيئًا في الاعتذار يتمسك به، وهذا أصل الإعذار من الحاكم إلى المحكوم عليه».

وقيل لحكيم: أي شيء أشد؟ قال: «دنو أجل وسوء عمل»[٢].

وقال الإمام النووي[٣]: «قال العلماء: معناه لم يترك له عذرًا إذ أمهله

---

(١) محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي ثم المناوي القاهرة، زين الدين. من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف. وكان قليل الطعام كثير السهر فمرض وضعفت أطرافه. له نحو ثمانين مصنفًا، منها الكبيرة والصغيرة، والتام والناقص. عاش في القاهرة وتوفي بها سنة ١٠٣١ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ٢٠٤/٦.

(٢) فيض القدير: ٥٧٥/١. شرح حديث رقم ١١٤٨.

(٣) يحيى بن شرف بن مري، مفتي الأمة، شيخ الإسلام، محيي الدين أبو زكريا النووي، الحافظ الفقيه، الشافعي، الزاهد، ولد سنة ٦٣١ بـ(نوى) إحدى قرى حوران شمال الشام، قدم إلى دمشق فاجتهد في الاشتغال بالعلم، وألف مصنفات نفع الله تعالى بها

هذه المدة، يقال: أعذر الرجل إذا بلغ الغاية في العذر»[١].

وقال الحكيم الترمذي[٢]: «فإذا عمُر ستين سنة فقد جاء أوان التذكر، لأن الأربعين منتهى استتمام القوة، فإذا جاوز إلى ستين فقد أتى عليه عشرون سنة في النقصان وهو نصف الأربعين الذي هو منتهى القوة فقد افتقد من نفسه نصف القوة فلذلك صار حجة عليه فأوجب له حرمة بأن رزقه الإنابة إليه فيما يحب وهو التذكر، فإنه إذا تذكر رزقه الإنابة إليه في الطاعات، ولم يخذله حتى يصير عمره وبالًا وحجة عليه»[٣].

والحديث الثاني:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

«أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»[٤].

يعني أن الغالب على أعمار أمة النبي ﷺ أنها ما بين الستين إلى

المسلمين واشتهرت وجُلبت إلى الأمصار، توفي بـ (نوى) سنة ٦٨٦ رحمه الله تعالى. انظر «فوات الوفيات»: ٤/٢٦٤-٢٦٨، و«الأعلام»: ٨/١٤٩، ١٥٠.

(١) رياض الصالحين، باب الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر: ٧١.

(٢) محمد بن علي بن الحسن. عالم بالحديث. له أقوال اختلف في تقويمها، وله عدة كتب حشاها بالأقوال الضعيفة والأحاديث الموضوعة فذم لذلك. توفي رحمه الله تعالى سنة ٣٢٠. انظر «سير أعلام النبلاء»: ١٣/٤٣٩، و «لسان الميزان»: ٥/٣٠٩.

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ للحكيم الترمذي: ٧٩.

(٤) أخرجه الترمذي، وهو حديث حسن كما بين الحافظ ابن حجر في فتحه: ٢٤/١٥، ١٦

السبعين، وإن كان منهم من يموت قبل الستين ومنهم من يموت بعد السبعين، لكنهم الأقل من بين أفراد الأمة، وأكثر الأمة يموت بين الستين والسبعين، كما هو مشاهد معلوم.

ومن اللطائف ما قاله الألباني في هذا الحديث عن نفسه، رحمه الله تعالى معلقًا على قول الإمام ابن عبد البر[١]: وأنا من ذلك الأقل، ذاك لأن ابن عبد البر قارب المائة، رحمه الله تعالى:

قلت: «وأنا أيضًا من ذلك الأقل، فقد جاوزت الرابعة والثمانين، سائلًا المولى - سبحانه وتعالى - أن أكون ممن طال عمره وحسن عمله، ومع ذلك فإني أكاد أن أتمنى الموت؛ لما أصاب المسلمين من الإنحراف عن الدين والذل الذي نزل بهم حتى من الأذلين، ولكن حاشا أن أتمنى، وحديث أنس ماثل أمامي منذ نعومة أظفاري، فليس لي إلا أن أقول كما أمرني نبيي ﷺ: **«اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»** وداعيًا بما علمنيه ﷺ: **«اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعلها الوارث منا»** وقد تفضل سبحانه فاستجاب ومتعني بكل ذلك، فها أنا ذا لا أزال أبحث وأحقق وأكتب بنشاط

(١) الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النَمري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة. طال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وخضع لعلمه علماء الزمان. كان ديّنًا، متقنًا، علامة، متبحرًا، صاحب سنة واتباع، وممن بلغ درجة الاجتهاد. توفي سنة ٤٦٣هـ عن ٩٥سنة رحمه الله. انظر «سير أعلام النبلاء»: ١٨/ ١٥٣-١٦٣.

قَلّ مثيله، وأصلي النوافل قائمًا، وأسوق السيارة بنفسي المسافات الشاسعة، وبسرعة ينصحني بعض الأحبة بتخفيفها، ولي في ذلك تفصيل يعرفه بعضهم! أقول ذلك من باب: «وأما بنعمة ربك فحدث»، راجيًا من المولى سبحانه وتعالى أن يزيدني من فضله، فيجعل ذلك كله الوارث مني، وأن يتوفاني مسلمًا على السنة التي نذرت لها حياتي دعوة وكتابة، ويلحقني بالشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، إنه سميع مجيب»[١].

والحديث الثالث:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

«**معترك المنايا بين الستين إلى السبعين**»[٢].

ومعنى المعترك: أي مكان المعركة، فكان المراد أن هذا العمر - مابين الستين والسبعين- هو وقت الموت.

وفي زيادة لابن ماجه: «وأقل أمتي من أبناء السبعين سنة».

---

(١) صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للشيخ الألباني رحمه الله تعالى: ٢/٤٦٤، ٤٦٥

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده، والحديث مختلف فيه وحسنه الألباني رحمه الله تعالى.

المبحث الثالث

من كلام السلف والخلف في الستين

المبحث الثالث
من كلام السلف
والخلف في الستين

قد جاء عن جماعة من السلف ذكر الستين، والتنبيه على بلوغها، وما الذي ينبغي على من يلفها أن يصنع، فإليكم ما وقفت عليه من كلامهم - رضي الله تعالى عنهم ورحمهم-:

قال معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - في مرض موته:

«إن مرض عضو مني فما أحصى صحتي، وما عوفيت منه أطول، أنا اليوم ابن ستين سنة، فرحم الله عبدًا دعا لي بالعافية»(١).

وهذا توبة بن الصمة وكان بالرقة، وكان محاسبًا لنفسه فحسب يومًا فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال: يا ويلتي، ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب، كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؟! ثم خر مغشيًا عليه فإذا هو ميت، فسمعوا قائلًا يقول: يا لك ركضةٌ إلى الفردوس الأعلى(٢).

---

(١) حلية الأولياء: ٩/ ١٥٤.

(٢) الزهد والرقائق للخطيب البغدادي: محاسبة توبة بن الصمة لنفسه.

قال إسماعيل بن عبيد الله(١): قال لي عمر بن عبد العزيز:

يا إسماعيل: كم أتت عليك من سنة؟

قلت: ستون سنة وشهور.

قال: يا إسماعيل إياك والمزاح(٢).

وقوله هذا محمول على المزاح الكثير، وإلا لقد كان سيد الخلق بأبي هو وأمي ﷺ يمزح مع أصحابه - رضي الله عنهم -.

قال الشاعر:

والشيبُ يقطعُ من ذي اللهو شهوتَه ... ويُـذْهب المـزْحَ ممَّـن كـان مزَّاحَـا

وهذا المسيب بن نجبة(٣) بعد مقتل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يتقدم بعض أصحابه بالكلام فيقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ: أما بعد، فإنا قد ابتلينا بطول العمر والتعرض

---

(١) أظنه ابن أبي المهاجر المخزومي بالولاء. كان فقيها فاضلًا ورعًا، وهو أحد العشرة التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - لتونس من أجل تفقيه البربر. توفي سنة ١٣٢ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام» للزركلي: ٣١٩/١.

(٢) حلية الأولياء: ٣٤٢/٥ .

(٣) المسيب بن نجبة بن ربيعة الفزاري، أحد التابعين. شهد فتوح العراق، وكان شجاعًا بطلًا ورأس قومه، وكان مع علي في مشاهده. سكن الكوفة وكان متعبدًا ناسكًا، ولما قتل الحسين - رضي الله عنه- ثار مع أهلها طلبًا لمده في حركة عرفت باسم التوابين، فصير إليه مروان جيشًا بقيادة عبيد الله ابن زياد فقاتلوه، فقتل في العراق في إحدى تلك الوقائع سنة ٦٥ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ٢٢٦،٢٢٥/٧.

لأنواع الفتن، فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غدًا: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ فإن أمير المؤمنين- رضي الله عنه – قال: «العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة»[١].

وأتى أبو الشعثاء جابر بن زيد[٢] أصحابه ذات يوم في مصلاهم وعليه نعلان خَلِقان فقال: مضى من عمري ستون سنة، نعلاي هاتان أحب إلي مما مضى منه إلا أن يكون خيرًا قدمته[٣].

وعن الهيثم بن عدي قال: سمعت خويل بن محمد الأزدي وكان عبادًا يقول: كأن خويلًا قد وقف للحساب فقيل له: يا خويل قد عمرناك ستين سنة فما صنعت فيها؟ فجمعت نوم الليل مع قائلة النهار فإذا قطعة من عمري نوم، وجمعت ساعات أكلي فإذا قطعة من عمري قد ذهبت في الأكل، وجمعت ساعات وضوئي فإذا قطعة من عمري ذهبت فيه، ثم نظرت في صلاتي فإذا صلاة منقوصة وصوم مخرق، فما هو إلا عفو الله أو الهلكة[٤].

---

(١) الكامل: ٣/٢٤٩-٢٥٠.

(٢) جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي ثم الخوفي- ناحية من عُمان-، البصري. مشهور بكنيته، ثقة فقيه. توفي سنة ٩٣ رحمه الله تعالى انظر المصدر السابق: ١٣٦.

(٣) البداية والنهاية: ٩/٢٦٥. ومعنى خَلِقان أي باليان.

(٤) صفة الصفوة: ٢/٢٧٩.

يروى عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أنه قال:

«إن الله يحب ابن عشرين إذا كان شبه ابن الثمانين، ويبغض ابن الستين إذا كان شبه ابن عشرين»[(١)].

قال الفضيل بن عياض[(٢)] لرجل: كم أتى عليك؟

قال: ستون سنة.

قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ.

فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال له الفضيل: أتعرف تفسيره؟

قال الرجل: فسره لنا يا أبا علي.

قال: فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جوابًا.

فقال الرجل: فما الحيلة؟

قال: يسيرة.

قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى، فإنك إن

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب: ١٥٦/١.

(٢) الفضيل بن عياض بن مسعود التميميّ، أبو علي. الزاهد المشهور أصله من خراسان، وسكن مكة. ثقة عابد إمام مات سنة ١٨٧ رحمه الله تعالى. انظر «التقريب»: ٤٤٨.

أسأت فيما بقي أُخِذت بما مضى وما بقي[١].

وروى ابن أبي الدنيا[٢] عن عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ أنه قَالَ لِرَجُلٍ: «مَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِثَلَاثٍ لَمْ يَتَّعِظْ بِشَيْءٍ: الْإِسْلَامُ، وَالْقُرْآنُ، وَالشَّيْبُ».

وروى عن أَبِي حَازِمٍ[٣] أَنَّهُ قَالَ: «يَا بُنَيَّ لَا تَقْتَدِ بِمَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَلَا يَقِفُ عَنِ الْعَيْبِ، وَلَا يَصْلُحُ عِنْدَ الشَّيْبِ»[٤].

وروى أَنَّ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ[٥]، كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ كِتَابًا يَعِظُهُ فِيهِ، فَكَانَ فِي آخِرِ كِتَابِهِ: وَلَا يُطْمِعْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طُولِ الْحَيَاةِ مَا يَظْهَرُ مِنْ صِحَّةِ بَدَنِكَ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ، وَاذْكُرْ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الْأَوَّلُونَ:

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا ... وَبَلِيَتْ مِنْ كِبَرٍ أَجْسَادُهَا
وَجَعَلَتْ أَسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا ... تِلْكَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

---

(١) حلية الأولياء: ٨/١١٣، وجامع العلوم والحكم: ٢/ ٣٨٣ .

(٢) هو الإمام عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي بالولاء، البغدادي، أبو بكر.محدث، مكثر من التصنيف، وكان من كبار الوعاظ. ولد في بغداد سنة ٢٠٨، وتوفي بها سنة ٢٨١ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ٤/ ١١٨.

(٣) سلمة بن دينار، أحد أئمة السلف، توفي بعد سنة ١٤٠ رحمه الله تعالى، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٦/٩٦ - ١٠٣.

(٤) كتاب العمر والشيب لابن أبي الدنيا:٦١.

(٥) زر بن حبيش بن حباشة الأسدي الكوفي، أبو مريم، ثقة جليل، مخضرم. مات سنة إحدى وثمانين وهو ابن مائة وسبعة وعشرين، وحديثه في الكتب الستة، انظر «التقريب»: ٢١٥.

فَلَمَّا قَرَأَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْكِتَابَ بَكَى حَتَّى بَلَّ طَرَفَ ثَوْبِهِ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ زِرٌّ، لَوْ كَتَبَ إِلَيْنَا بِغَيْرِ هَذَا كَانَ أَرْفَقَ(١).

وروى عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ، قَالَ: دُخِلَ عَلَى الْهَيْثَمِ بْنِ الْأَسْوَدِ(٢) فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَبَا الْعُرْيَانِ؟

قَالَ: أَجِدُنِي وَاللَّهِ قَدِ اسْوَدَّ مِنِّي مَا أُحِبُّ أَنْ يَبْيَضَّ، وَابْيَضَّ مِنِّي مَا أُحِبُّ أَنْ يَسْوَدَّ، وَاشْتَدَّ مِنِّي مَا أُحِبُّ أَنْ يَلِينَ، وَلَانَ مِنِّي مَا أُحِبُّ أَنْ يَشْتَدَّ، وَسَأُنْبِئُكَ عَنْ آيَاتِ الْكِبَرِ:

تَقَارُبُ الْخَطْوِ وَنَقْصٌ فِي الْبَصَرْ وَقِلَّةُ الطُّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرْ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ وَكَثْرَةُ النِّسْيَانِ فِيمَا يُدَّكَرْ
وَتَرْكِيَ الْحَسْنَاءَ فِي قِبَلِ الطُّهْرْ وَالنَّاسُ يَبْلَوْنَ كَمَا يَبْلَى الشَّجَرْ(٣)

وروى عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرٍ السَّهْمِيِّ قَالَ: نَظَرَ أَبِي فِي الْمِرْآةِ يَوْمًا فَجَعَلَ يَتَأَمَّلُ شَيْبًا فِي لِحْيَتِهِ وَيَبْكِي، فَقَالَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: إِنَّ الشَّيْبَ تَمْهِيدُ الْمَوْتِ(٤).

---

(١) كتاب العمر والشيب لابن أبي الدنيا: ٦٣، ٦٤.

(٢) النخعي. خطيب شاعر بليغ، من المعمرين، ومن ذوي الشرف والمكانة في الكوفة. توفي نحو سنة ١٠٠ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ٨/١٠٣.

(٣) كتاب العمر والشيب لابن أبي الدنيا: ٦٦.

(٤) كتاب العمر والشيب لابن أبي الدنيا: ٧٠.

قال القرطبي [١]رحمه الله: قال ابن العربي[٢]: سمعتُ ذا الشهيد الأكبر[٣] يقول: إن الله تعالى خلق العبد حيًا عالمًا وبذلك كماله، وسلط عليه آفة النوم وضرورة الحدث، ونقصان الخلقة، إذ الكمال للأول الخالق، فمتى أمكن الرجل من دفع النوم بقلة الأكل، والسهر في طاعة الله فليفعل، ومِن الغبن العظيم أن يعيش الرجل ستين سنة ينام ليلها فيذهب النصف من عمره لغوًا، وينام سدس النهار راحة، فيذهب ثلثاه، ويبقى له من العمر عشرون سنة، ومن الجهالة والسفاهة أن يُتْلِف الرجل ثلثي عمره في لذة فانية ولا يتلف عمره بسهر في لذة باقية عند الغني الوفي، الذي ليس بعديم ولا ظلوم[٤].

قال ابن الجوزي[٥]: «فالعاقل من فهم مقادير الزمان؛ فإنه فيما قيل

---

(١) هو الشيخ الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي، إمام متفنن متبحر في العلم. له تصانيف تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله، توفي سنة ٦٧١ بصعيد مصر التي انتقل إليها من الأندلس- رحمه الله تعالى- انظر ترجمته في «الوافي بالوفيات»: ٢/١٢٢، ١٢٣.

(٢) هو الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي. حافظ متبحر. ولد سنة ٤٦٨ بإشبيلية، ونشأ بها، ثم ارتحل إلى مصر والحجاز والعراق. وكان حسن المعاشرة. وقد تولى القضاء في إشبيلية وكان صارمًا فيه. له تآليف عديدة. توفي سنة ٥٤٣، ودفن في فاس. انظر «الديباج المذهب»: ٢/٢٥٢ – ٢٥٦.

(٣) لم أدر من هو هذا الذي لقبه بالشهيد الأكبر.

(٤) تفسير القرطبي: ١٥/٤٦٣.

(٥) الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي، ينتهي نسبه إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه-. ولد سنة ٥١٠ ببغداد، وسمع من مشايخ كثيرين، وكان رأسًا في الوعظ والتذكير بلا مدافعة، وصنف مصنفات كثيرة في بعضها أوهام وأخطاء بسبب عدم التحرير والمراجعة. توفي سنة ٥١٧ ببغداد. انظر «سير أعلام النبلاء»: ٢١/٣٦٥ – ٣٨٤.

قبل البلوغ صبي ليس على عمره عيار.

إلا أن يرزق فطنة ففي بعض الصبيان فطنة تحثهم من الصغر على اكتساب المكارم والعلوم.

فإذا بلغ فليعلم أنه زمان المجاهدة للهوى وتعلم العلم.

فإذا رزق الأولاد فهو زمان الكسب للمعاملة. فإذا بلغ الأربعين انتهى تمامه. وقضى مناسك الأجل. ولم يبق إلا الانحدار إلى الوطن.

كأن الفتى يرقى من العمر معلمًا... إلى أن يجوز الأربعين وينحطّ

فينبغي له عند تمام الأربعين أن يجعل جل همته التزود للآخرة. ويكون كل تلمحه لما بين يديه. ويأخذ في الاستعداد للرحيل.

وإن كان الخطاب بهذا لابن عشرين، إلا أن رجاء التدارك في حق الصغير لا في حق الكبير.

فإذا بلغ الستين فقد أعذر الله إليه في الأجل وجاز من الزمن أخطره. فليقبل بكليته على جمع زاده، وتهيئة آلات السفر.

وليعتقد أن كل يوم يحيا فيه غنيمة ما هي في الحساب.

خصوصًا إذا قوي عليه الضعف وزاد.

وكلما علت سنه فينبغي أن يزيد اجتهاده. فإذا دخل في عشر الثمانين فليس إلا الوداع وما بقي من العمر إلا أسف على تفريط أو تعبد على

ضعف.

نسأل الله عز وجل يقظة تامة تصرف عنا رقاد الغفلات. وعملًا صالحًا نأمن معه من الندم يوم الانتقال، والله الموفق»[١].

- وقال فخر الدين الرازي في سياق تفسيره لقول الله تعالى حكايةً عن يوسف عليه السلام: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢].

«والذي جربتُه من أول عمري إلى آخره؛ أن الإنسان كلما عوّل في أمر من الأمور على غير الله صار ذلك سببًا إلى البلاء والمحنة، والشدة والرزية، وإذا عوّل العبد على الله ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه.

فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين من عمري؛ فعند هذا استقر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله تعالى وإحسانه»[٢].

(١) صيد الخاطر: ٢٧٨.

(٢) مفاتيح الغيب: ١٨/ ٤٢٨.

المبحث الرابع

صنيع بعض الأمم الأخرى فيمن بلغ الستين

المبحث الرابع
صنيع بعض الأمم الأخرى
فيمن بلغ الستين(١)

قال المناوي: ترى الرجل يشتري عبدًا فإذا أتت عليه ستون سنة فيقول: قد طالت صحبة هذا وعتق عندنا، فترفع عنه بعضُ العبودية وتخفف عنه في ضريبته، فإذا زادت مدة صحبته زيد رفقًا وعطفًا، والعبد لا يخلو من تخليط وإساءة، فمولاه لطول صحبته لا يمنعه رفقه ورفده ولا يتعبه فإذا شاخ أعتقه(٢).

وذكر ابن بطوطة(٣) أن النصارى في القسطنطينية يبنون (المانستار) - على مثل لفظ المارستان إلا أن نونه متقدمة وراءه متأخرة- وهو عندهم شبه الزاوية عند المسلمين، وهذه المانستارات بها كثيرة، فمنها مانستار الذي عمره الملك جرجيس والد ملك القسطنطينية.

---

(١) نقلت هذا المبحث بتمامه من مقالة «الستون عند العلماء وأهل الفضل» للشيخ علي بن سعيد بن دعجم. وزدت عليه كتابة بعض التراجم للشخصيات المذكورة.

(٢) فيض القدير: ٤/٤٨٧ .

(٣) محمد بن عبدالله بن محمد اللُواتي الطَنجيّ، أبو عبدالله ابن بطوطة. ولد في طنجة سنة ٧٠٣. رحل إلى المشرق سنة ٧٢٥ وتوغل حتى بلغ الصين، وتولى القضاء بالهند سنوات. بقي في رحلته ٢٧ سنة. توفي في مراكش سنة ٧٧٩ رحمه الله تعالى. انظر «الدرر الكامنة»: ٤/ ١٠٠، و«الأعلام»: ٦/ ٢٣٥، ٢٣٦.

ومنها مانستاران عن يسار الداخل إلى الكنيسة العظمى على مثل هذين الآخرين، ويطيف بها بيوت، وأحدهما يسكنه العميان، والثاني يسكنه الشيوخ الذين لا يستطيعون الخدمة ممن بلغ الستين أو نحوها، ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من أوقافٍ معينة لذلك، وفي داخل كل مانستار منها دويرة لتعبُّد الملك الذي بناه، وأكثر هؤلاء الملوك إذا بلغ الستين أو السبعين بني مانستارًا ولبس المسوح وهي ثياب الشعر، وقلد ولده الملك، واشتغل بالعبادة حتى يموت(١).

ويحكي ابن بطوطة أيضًا عن أهل الصين ومبالغتهم في رعاية من كبر سنه فقال: ومن بلغ ستين سنة عدوه كالصبي فلم تَجْرِ عليه الأحكام، والشيوخ بالصين يعظمون تعظيمًا كثيرًا ويسمى أحدهم آطا ومعناه الوالد(٢).

قال الإمام البغوي(٣): «وخرج موسى - عليه السلام - في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل كانوا لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره»(٤).

---

(١) رحلة ابن بطوطة: «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»: ٣٥٩، ٣٦٠.

(٢) رحلة ابن بطوطة: «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»: ٦٥٢.

(٣) الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي المفسر، صاحب التصانيف وكان سيدًا إمامًا، عالمًا علامة، زاهدًا قانعًا باليسير، بورك له في تصانيفه ورُزق فيها القبول التام، لحسن قصده وصدق نيته، وتنافس العلماء في تحصيلها، وكان لا يُلقي الدرس إلا على طهارة، توفي بـ «مرو الروذ» سنة ٥١٦، وعاش بضعًا وسبعين سنة رحمه الله تعالى. انظر «سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٤٣٩ - ٤٤٣.

(٤) تفسير البغوي: ١/ ٩٢.

المبحث الخامس

أعمار بعض عظماء الأمة ومشاهيرها

المبحث الخامس
أعمار بعض عظماء الأمة ومشاهيرها

لما نظرت في أعمار عظماء الأمة ومشاهيرها ودعاتها وجدت أن أكثرهم قد مات بين الستين والسبعين، فأولهم وعلى رأسهم سيدنا النبي محمد ﷺ فقد توفي عن ثلاث وستين سنة بأبي هو وأمي ﷺ.

ثم خير الأمة وسيدها بعد النبي ﷺ الصديق الأكبر أبو بكر - رضي الله عنه - فقد توفي عن ثلاث وستين سنة.

وسيدنا الفاروق الأعظم الذي لم يكن في الإسلام مَثله في إدارته للدولة وتنظيماته التي وضعها قد استُشهد عن ٦٣ سنة - رضي الله عنه -.

وعلي - رضي الله عنه - الفارس البطل والعالم النحرير توفي عن قرابة الستين.

وطلحة والزبير - رضي الله عنهما - توفي كل واحد منهما عن ٦٤ سنة.

وتوفي أبو عبيدة عامر ابن الجراح - رضي الله عنه - عن قريب من

الستين.

والسيدة الجليلة خديجة - رضي الله عنها - توفيت بين الستين والسبعين.

وعائشة - رضي الله عنها - توفيت وهي بين الستين والسبعين.

وحفصة - رضي الله عنها - توفيت عن ستين سنة.

وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - توفي عن ستين سنة.

وعياض بن غُنْم - رضي الله عنه - توفي عن ستين سنة، وهو من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا وما بعدها.

وعبد الله بن مظعون - رضي الله عنه - توفي عن ستين سنة.

وسيف الله المسلول خالد بن الوليد مات عن ستين سنة رضي الله عنه.

وأسامة بن زيد - رضي الله عنه - كذلك مات عن ستين سنة.

وتوفي خارجة بن زيد - وهو أحد فقهاء المدينة السبعة - عن سبعين سنة رحمه الله تعالى.

وأبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين مات عن قرابة ستين سنة، رحمه الله تعالى.

وكان من ثقات السلف وحديثه في الكتب الستة، وانتحله الرافضة

زورًا وبهتانًا وجعلوه أحد أئمتهم المعصومين، حاشاه.

وكذلك ابنه جعفر الصادق هو من ثقات السلف وكذب عليه الرافضة، توفي عن سبع وستين سنة رحمه الله تعالى.

وأبو حنيفة الفقيه العظيم توفي عن سبعين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي الأوزاعي إمام الشام في بيروت عن ستين سنة، رحمه الله تعالى.

ووكيع بن الجراح أحد كبار السلف توفي عن ثمان وستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي الإمام البخاري عن اثنتين وستين سنة، رحمه الله تعالى.

والإمام مسلم توفي عن ستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي الإمام ابن ماجة عن أربع وستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي إمام الشافعية أبو حامد الاسفراييني عن ثنتين وستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي شيخ المالكية القاضي عبد الوهاب البغدادي عن ستين سنة، رحمه الله تعالى.

وإمام الشافعية الكبير أبو المعالي الجويني توفي عن قرابة ستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي الملك المجاهد الكبير محمود سُبُكْتُكين الغزنوي فاتح أكثر بلاد الهند، وملك الأفغان عن ستين سنة، رحمه الله تعالى.

والحُصْري الشاعر المشهور توفي عن ثمان وستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي الأديب الكبير الحريري صاحب المقامات عن سبعين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي الفقيه المالكي ابن رشد الجد عن سبعين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي أبوبكر الطرطوشي الفقيه المالكي عن تسع وستين سنة رحمه الله تعالى.

وتوفي القاضي عياض عن ثمان وستين سنة.

وتوفي الإمام الأنباري النحوي الأديب عن أربع وستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي الإمام الرازي المفسر عن ثنتين وستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي الإمام المحدث ابن الصلاح عن ست وستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي لسان الدين ابن الخطيب الأديب البارع عن ثلاث وستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي شيخ الإسلام ابن تيمية عن سبع وستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي تلميذه ابن القيم عن ستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي الإمام السيوطي عن ثلاث وستين سنة تقريبًا رحمه الله تعالى.

وتوفي الإمام ابن الوزير اليمني عن خمس وستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي الإمام أبو شامة المقدسي عن ست وستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي شيخ الأزهر المراغي عن ست وستين سنة رحمه الله تعالى.

وتوفي الأستاذ الداعية المفكر سيد قطب عن إحدى وستين سنة.

وتوفي شاعر الهند الكبير محمد إقبال عن ثلاث وستين سنة، رحمه الله تعالى.

وتوفي الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي النجدي صاحب التفسر المشهور عن تسع وستين سنة.

تلك كانت بعض أعمار مشاهير العلماء والدعاة الذين توفوا بين الستين والسبعين.

المبحث السادس

خطوات مقترحة لمن بلغ العشر الأخيرة أو قاربها

المبحث السادس
خطوات مقترحة لمن بلغ
العشر الأخيرة أو قاربها[(١)].

ينبغي لمن ابتدأ العشر الأخيرة أن يحمد الله تعالى كثيرًا على أن بلّغه إياها وأطال عمره، فإن من سعادة المرء أن يطول عمره ويحسن عمله، فقد قال رسول الله ﷺ:

«خير الناس من طال عمره وحسن عمله»[(٢)].

وهناك بعض الخطوات المقترحة لمن بلغ العشر الأخيرة أو قاربها، وهي كالتالي:

١- التوبة النصوح ورد المظالم والخروج من التبعات:

ومعنى النصوح هي التي لا رجعة بعدها إلى الذنب، والتوبة هي الكف عن الذنوب، والندم عليها، والعزم على عدم العودة، وهناك شرط مهم للتوبة فيما إذا كان الذنب متعلقًا بحقوق العباد، فلا بد من رد المظالم والخروج من التبعات، وهناك مِن الناس مَن لا يكاد يلتفت إلى

---

(١) فليرجع من شاء إلى كتابي «جدد حياتك: رسالة إلى من جاوز الأربعين» ففيها بعض ما يمكن عمله لمن بلغ الستين.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي وقال حديث حسن، وصححه الألباني.

مسألة رد المظالم هذه ويراها شيئًا هينًا، ويكاد يكون نسي مظالمه وتعدياته على الناس، ولم يفكر يومًا باستحلال أصحاب المظالم، هذا وقد قال النبي ﷺ:

«من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلل منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»(١).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **«أتدرون من المفلس؟»**.

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

فقال: **«إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار»**(٢).

٢- تعويض ما فات:

من المعلوم أن كل من مات على التوحيد دخل الجنة، وهذا من ثوابت دين الإسلام، ومن المعلوم أيضًا أن من دخل الجنة ستفاوت

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب المظالم: باب من كانت له مظلمة.

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والأدب: باب تحريم الظلم.

منازلهم فيها، وذلك بحسب أعمالهم التي عملوها في هذه الحياة الدنيا، وهذا من مقتضى عدل الله تعالى، فقد قال جل جلاله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧]، وقال تعالى:﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾[آل عمران:١١٥].

وقد قسّم جل جلاله أهل الجنة بحسب أعمالهم إلى منازل أخبر عنها بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[الواقعة:١٠] وقال جل من قائل: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾[الواقعة:٢٧] وأخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: «**في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**»[1] فمن أراد منزلة عالية في الدار الآخرة فلا بد أن يبذل ثمنًا غاليًا لنيلها، وقد تفاوتت مراتب الناس في الجنة بحسب أعمالهم التي عملوها في هذه الحياة.

فإذا اقترب المرء من العشرة الأخيرة أو أخذ فيها فإنه ينبغي له أن يفكر طويلًا في منزلته في الآخرة، وأين سيكون فيها، وأي درجة سينالها؟ هذا إذا كان حازمًا لبيبًا، عارفًا بقدر الآخرة، وتفاوت منازلها، وإن قصر أو فرّط فيما مضى من أيامه فإن هذا هو زمان التعويض، وهذا هو زمان تدارك ما فات، فليعزم على عمل كل ما يستطيع عمله من أجل الارتقاء في منازل الآخرة، وليستفد مما أودعه الله تعالى فيه من المواهب والقدرات والملكات، وليسخر ذلك في عمل صالح ينفع به دينه وأمته لعل الله تعالى أن يرفعه بعض الدرجات في الجنات.

(١) رواه الترمذي: كتاب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في صفة درجات الجنة، وصححه الألباني.

ومن أمثلة ما يمكن أن يصنعه المرء في هذا الباب ما يلي:

أ- الإنفاق:

إن كان المرء من أصحاب الأموال فلينفق مالًا عظيمًا، ولا يضحك عليه الشيطان فيموت ويترك أمواله العظيمة لورثته وهم ليسوا في حاجة إليها، هذا وقد قال أبو ذر - رضي الله عنه -:

«كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة عشاء، ونحن ننظر إلى أحد، فقال لي رسول الله ﷺ»: «**يا أبا ذر**».

قلت: «لبيك يارسول الله».

قال: «**ما أحب أن أُحدًا ذاك عندي ذهب أمسي ثالثة عندي منه دينار إلا دينارًا أرصده لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا: حثا بين يديه، وهكذا عن يمينه، وهكذا عن شماله**».

قال: ثم مشينا فقال: «**يا أبا ذر**».

قلت: «لبيك يارسول الله».

قال: «**إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا مثل ما صنع في المرة الأولى**»[1].

هذا وقد قال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث:

قوله: «**ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبًا تمضي عليّ ثالثة وعندي**

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب الترغيب في الصدقة واللفظ له، والبخاري في صحيحه: كتاب الرقاق: باب قول النبي ﷺ ما أحب أن لي.

منه دينار».

في رواية حفص بن غياث«**ما أحب أن لي أحدًا ذهبًا يأتي عليّ يوم وليلة أو ثلاث عندي منه دينار»**.

وفي رواية أبي معاوية عن الأعمش عن أحمد «**ما أحب أن لي أحدًا ذاك ذهبًا»**.

وفي رواية أبي شهاب عن الأعمش في الاستئذان «**فلما أبصر أحدًا قال ما أحب أنه تحول لي ذهبًا يمكث عندي منه دينار فوق ثلاث»**.

قوله: (إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه) في رواية أبي شهاب إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وأشار أبو شهاب بين يديه وعن يمينه وعن شماله.

وفي رواية أبي معاوية عن الأعمش عند أحمد إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا فحثا عن يمينه ومن بين يديه وعن يساره فاشتملت هذه الروايات على الجهات الأربع وإن كان كلٌ منها اقتصر على ثلاث وقد جمعها عبد العزيز بن رفيع في روايته ولفظه «إلا من أعطاه الله خيرًا - أي مالًا - فنفح - بنون وفاء ومهملة - أي أعطى كثيرًا بغير تكلف يمينًا وشمالًا وبين يديه ووراءه» وبقي من الجهات فوق وأسفل والإعطاء من قبل كل منهما ممكن لكن حذف لندوره.

وقد فسر بعضهم الإنفاق من وراء بالوصية وليس قيدًا فيه بل قد يقصد الصحيح الإخفاء فيدفع لمن وراءه مالًا يعطي به من هو أمامه

وقوله: «**هكذا**» صفة لمصدر محذوف أي أشار إشارة مثل هذه الإشارة وقوله: «**من خلفه**» بيان للإشارة وخص عن اليمين والشمال لأن الغالب في الإعطاء صدوره باليدين وزاد في رواية عبد العزيز بن رفيع «**وعمل فيه خيرًا**» أي حسنة.

قوله: «**وقليل ما هم**» ما زائدة مؤكدة للقلة، ويحتمل أن تكون موصوفة ولفظ قليل هو الخبر وهم هو «المبتدأ، والتقدير: وهم قليل، وقدم الخبر للمبالغة في الاختصاص»(١).

ولا أجد في هذا الشأن حديثًا أعظم تعبيرًا عما أريد من قول الصحابة - رضي الله عنهم - للنبي ﷺ:

«ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون»(٢).

ومعنى الدثور: الأموال الكثيرة، وقد أقرهم النبي ﷺ على قولهم ذلك.

ب- تسخير الملكات والمواهب:

وإن كان قد رُزق ملكات ومواهب لكنه لم يرزق مالًا فعليه أن يسخر تلك الملكات والمواهب فيما يمكن أن يعود عليه بالأجر العظيم،

---

(١) فتح الباري: ٢٤/ ٤٤-٤٦.
(٢) متفق عليه.

ورفعة الدرجات في الآخرة وذلك نحو أن يعمل مع الجمعيات الخيرية والإغاثية، وسيأتي ذكر ذلك.

ج- حفظ القرآن:

وإن استطاع من بلغ العشر الأخيرة أن يحفظ القرآن فما أحسن هذا وما أجمله، حيث يلقى الله تعالى وكلامه في صدره، فهنيئًا له، ويستطاع هذا بشيء من الصبر والهمة والجد والاجتهاد وقد فعله جماعة من الناس بعد الستين.

د- طلب العلم:

وإن ارتقت همة من بلغ العشر الأخيرة حتى طلب العلم الشرعي فيا حبذا ما صنعه، وقد قال ﷺ:

«من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين»[(١)].

وطلب العلم ليس له سن ينتهي عندها، ولا حَدّ ينتهي إليه، وهو أمر مستحسن في كل حين، وما أحسن أن يلقى المرء ربه وهو عالم بدينه، فاهم لمراد الله تعالى من الخلق، واقف على السنة النبوية، متضلع من دين الإسلام.

٣- الاستفادة من التقاعد الوظيفي:

إذا بلغ المرء العشر الأخيرة فإنه يحال إلى التقاعد وظيفيًا، وهذه نقلة مهمة؛ إذ يتوافر للمرء وقت ما كان يملكه من قبل، فنظام الحياة

(١) متفق عليه.

المعاصرة يسلب المرء أكثر ساعات يومه حيوية ونشاطًا من أجل الوظيفة، فإذا تقاعد فإنه سيستفيد من تلك الساعات الثمينة في تحقيق ما عجز عنه من قبل.

ثم إن كثيرًا من الناس إذا شرعوا في الستين فإن فيهم بقايا من قوة يتمكنون بها من تحقيق مراداتهم.

وبعض الناس ينظر إلى التقاعد على أنه بلية ومصيبة، ويكثر من التخوف على نفسه والحزن عليها، وكأنه أصبح على شفير قبره، وهذا خطأ محض وتلاعب من الشيطان به، بل عليه أن يشمر عن ساعد الجد، وأن يُلقي بالكسل والوهن والضعف جانبًا، وأن يستفيد من تقاعده ذلك في الارتقاء بنفسه وعباداته، وتحقيق ما يمكن له تحقيقه إلى أن يلقى ربه.

«وفي السياق ذاته تؤكد الدراسات العلمية المتخصصة أن المتقاعدين الذين يعملون بعد التقاعد أكثر توافقًا ورضا عن الحياة من المتقاعدين الذين لا يعملون، وأن المتقاعدين الذين يعملون بعد تقاعدهم أقل شعورًا بالاكتئاب النفسي بالمقارنة مع المتقاعدين الذين لا عمل لهم بعد التقاعد، ولعل ما يعظم الفرص التنموية في ذلك الملف أن غالبية المتقاعدين لديهم الرغبة في المشاركة التطوعية وبخاصة في المؤسسات الخيرية والدينية والثقافية، في ضوء ما تؤكده الدراسات النفسية بأن معظم المتقاعدين لديهم رغبة كبيرة في العمل بعد التقاعد

خاصة في الأعمال المشابهة لأعمالهم قبل تقاعدهم، أو الرغبة في المشاركة في أعمال تطوعية مع المؤسسات الخيرية أو الجمعيات التي تخدمهم»[١].

وهناك أعمال كثيرة يمكن للمتقاعد عملها تعود عليه بالخير الكثير الوفير، فمن ذلك:

أ- الاشتراك في الجمعيات الخيرية المتنوعة التي تُعنى بجوانب من حياة الناس المتعددة.

وإن وُهب المرء قدراتٍ وملكات في عمل الخير فليجتهد وليكثر، وليسارع لنجدة إخوانه المسلمين وأهله، فإن كوارث المسلمين اليوم كثيرة، وتفتقر إلى يد رحيمة؛ فليكن هو تلك اليد، وليشارك في الجمعيات الخيرية سواء منها في الداخل أو خارج بلده، وهذا العمل من أعظم الأعمال التي تعود على المرء بالنفع والحسنات، قال النبي ﷺ: **«لئن أمشي في حاجة أخي أحب إليّ من أن أعتكف في مسجدي هذا شهرًا»**[٢] أو كما قال ﷺ.

ب- الاشتراك مع نظرائه ورصفائه في أعمال تعود على الناس بالخير، مثل الأعمال المسجدية، والجمعيات الخدمية.

ج- التعود على أعمال لم يعملها من قبل، أو لم يَعْتدها من قبل؛ وذلك

---

(١) مقال «المتقاعدون خزانات الخبرة المهملة»: رضا عبد الودود: موقع المسلم.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة: رقم٩٠٦.

نحو القراءة المثمرة الجادة، أو أنواع من العبادات ترتقي به في درجات الجنة مثل صيام الأيام الفاضلة التي كان يمنعه من صيامها عمله ووظيفته، وقيام الليل والحفاظ على السنن الراتبة وغير الراتبة، والتطوعات.

د- الالتفات إلى الأهل والأولاد والأحفاد، وتعويضهم عن التقصير في التربية، والاهتمام بشئونهم، وإصلاح ذات بينهم، والعناية بهم من كل وجه ممكن.

هـ- بعض الرياضات التي تعود على الجسم بالفائدة، وتنفي عنه الكسل والوهن.

«تجارب عالمية ناجحة:

ومن أبرز برامج استثمار قدرات المتقاعدين عالميًا:

- هيئة الخبراء المسنين: وهي هيئة المانية مقرها مدينة بون، تضم أكثر من ٥٠٠٠ خبير ألماني من المتقاعدين، في جميع القطاعات، ويعمل الخبراء مجانًا في هذه الهيئة ذات الصالح العام.

- جامعة المتقاعدين: تقع في مدينة (كاكوجاد) في اليابان، وقد أنشئت في عام ١٩٦٩م، وأول شروط الانتساب لها أن يكون الشخص قد تجاوز سن الستين عامًا، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات، يتضمن منهاجها الثقافة العامة – الدراسات العلمية – ومحاضرات في علم

النفس، واتجاهات الاقتصاد الياباني، والفارق بين الفكر الغربي والفلسفة اليابانية القديمة والحديثة.

أما البرنامج العملي، فيتضمن فلاحة البساتين، وطرق تربية الأسماك، والطيور، وصناعة الأواني الفخارية، والكثير من الحرف اليدوية الأخرى. كما يتضمن منهاج الدراسة في هذه الجامعة زيارة كافة المواقع والمعالم الأثرية في اليابان، ويمكن الالتحاق في هذه الجامعة عن طريق المراسلة والدراسة الكاملة مجانية.

- تنظيم الأرشيف الوطني: وهو برنامج تنظمه جمعية المتقاعدين الأمريكية، حيث أن المتقاعدين أكثر دراية وخبرة في مثل هذا العمل، وشكلت فرق متكاملة تبنتها الجمعية عن توثيق تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية في مختلف جوانب الحياة، اجتماعيًا، واقتصاديًا، وثقافيًا، وسياسيًا. وقد انطلق تنفيذ هذه الحملة منذ عام ١٩٧٠م.

- جمعية المتطوعين المتقاعدين الأمريكية: وقد أنشئت في عام ١٩٦٩م، وتعمل هذه الجمعية على مساعدة الأشخاص من سن الخامسة والخمسين وأكثر على إيجاد فرص عمل لخدمة المجتمع المحلي والاستفادة من خبراتهم المهنية. ويعمل الأعضاء كلٌ حسب طاقته واهتمامه وميوله، وتتراوح ساعات العمل لديهم من بضع ساعات إلى أربعون ساعة أسبوعيًا. وهم نشيطون في مجالات عديدة منها التعليم والتدريب ومساعدة كبار السن في التخطيط لأمورهم

المالية. كما يعمل البعض منهم كمرشدين ومساعدين ومتطوعين في المستشفيات، والمكتبات، وحملات البيئة، والإغاثة، والطوارئ، وغيرها من الخدمات. كما يقدم أعضاء الجمعية خدمات استشارية للشباب في مجال إقامة مشروعات جديدة، ولا يملكون الخبرة الكافية لذلك.

- برنامج المرافق الكبير: ويقوم هذا البرنامج الذي أنشأته الخدمة الوطنية التعاونية للكبار بالولايات المتحدة الأمريكية، على خلق مجموعات صغيرة ممن بلغوا سن الستين عامًا فما فوق، هدفها بناء علاقات صداقة إنسانية للمسنين المقعدين ومساعدتهم على إنجاز بعض الأعمال المنزلية، وتوفير المواصلات لنقلهم ومرافقتهم للمستشفيات لتلقي العلاج، وزيارتهم المستمرة، والخروج معهم قدر المستطاع، أو تنظيم الأنشطة الترفيهية بهدف التخفيف من شعور هؤلاء المسنين بالوحدة.

أما التجارب العربية في هذا المجال تبدو على استحياء ويسيطر عليها المنظور الخدمي أكثر منه التنموي؛ كالجمعية العامة للمسنين في جمهورية مصر العربية، وجمعية رابطة الأجيال في تونس، وجمعية المتقاعدين في المغرب، وجمعية المتقاعدون في المملكة العربية السعودية، وكلها جمعيات خيرية في أساسها تقوم بالعديد من البرامج ولها لقاءات سنوية ثابتة وتصدر بعضها دوريات وصحف متخصصة في شئون

التقاعد. إضافة إلى الجمعيات الخاصة بالشيخوخة وكبار السن، وهي منتشرة في معظم البلاد العربية إن لم يكن جميعها، بحيث تختص بتقديم الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية والترويحية للمسنين»[١].

هذه بعض الطرائق والأفكار والتجارب التي تفيد المتقاعدين، وليلحظوا قول النبي ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَّلَهُ**»؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَ مَا عَسَّلُهُ؟، قَالَ: «**يَفْتَحُ لَهُ عَمَلاً صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ، حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مَنْ حَوْلَهُ**»[٢].

٤- الوصية:

قد يبلغ العبد بالوصية بعض المنازل العالية إذا كان صاحب مال وفير ووصى من ماله بالثلث فما دون في أعمال الخير.

ويحسن بمن بلغ العشر الأخيرة أن يكتب وصيته، ويسجل فيها ما عليه من ديون، وماله عند الناس، وما للناس عنده، ويوصي فيها أهله وأولاده بخيري الدنيا والآخرة، قال النبي ﷺ:

«**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**».

ومسألة الوصية فيها تفصيل بينه ابن حجر كالتالي:

---

(١) مقال «المتقاعدون خزانات الخبرة المهملة»: رضا عبد الودود: موقع المسلم.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢٩/ ٣٢٣، رقم ١٧٧٨٤، وهو حديث صحيح.

«قال العلماء: لا يندب أن يكتب جميع الأشياء المحقرة ولا ما جرت العادة بالخروج منه، والوفاء له عن قرب» والله أعلم.

قوله: (ليلتين) كذا لأكثر الرواة، ولمسلم والنسائي من طريق الزهري عن سالم عن أبيه «يبيت ثلاث ليال»، وكأن ذكر الليلتين والثلاث لرفع الحرج لتزاحم أشغال المرء التي يحتاج إلى ذكرها ففُسِح له هذا القدر ليتذكر ما يحتاج إليه، واختلاف الروايات فيه دال على أنه للتقريب لا للتحديد، والمعنى لا يمضي عليه زمان وإن كان قليلًا إلا ووصيته مكتوبة، وفيه إشارة إلى اغتفار الزمن اليسير، وكأن الثلاث غاية للتأخير، ولذلك قال ابن عمر في رواية سالم المذكورة «لم أبت ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا ووصيتي عندي».

ولفظه عند الدارقطني: «**لا يحل لمسلم أن يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**» واستدل بهذا الحديث مع ظاهر الآية على وجوب الوصية.

وأجاب من قال بعدم الوجوب عن الحديث بأن قوله: «**ما حق امرئ**» بأن المراد الحزم والاحتياط، لأنه قد يفجؤه الموت وهو على غير وصية، ولا ينبغي للمؤمن أن يغفل عن ذكر الموت والاستعداد له، وهذا عن الشافعي.

ونقل ابن المنذر عن أبي ثور أن المراد بوجوب الوصية في الآية والحديث يختص بمن عليه حق شرعي يخشى أن يضيع على صاحبه إن لم يوص به كوديعة ودين لله أو لآدمي، قال: ويدل على ذلك تقييده بقوله:

«له شيء يريد أن يوصي فيه» لأن فيه إشارة إلى قدرته على تنجيزه[١] ولو كان مؤجلًا. فإنه إذا أراد ذلك ساغ له، وإن أراد أن يوصي به ساغ له، وحاصله يرجع إلى قول الجمهور إن الوصية غير واجبة لعينها، وإن الواجب لعينه الخروج من الحقوق الواجبة للغير سواء كانت بتنجيز أو وصية، ومحل وجوب الوصية إنما هو فيما إذا كان عاجزًا عن تنجيز ما عليه وكان لم يعلم بذلك غيره ممن يثبت الحق بشهادته، فأما إذا كان قادرًا أو علم بها غيره فلا وجوب.

وعرف من مجموع ما ذكرنا أن الوصية قد تكون واجبة وقد تكون مندوبة فيمن رجا منها كثرة الأجر، ومكروهة في عكسه، ومباحة فيمن استوى الأمران فيه، ومحرمة فيما إذا كان فيها إضرار كما ثبت عن ابن عباس «الإضرار في الوصية من الكبائر»[٢].

واحتج ابن بطال تبعًا لغيره بأن ابن عمر لم يوص، فلو كانت الوصية واجبة لما تركها وهو راوي الحديث، وتعقب بأن ذلك إن ثبت عن ابن عمر فالعبرة بما روى لا بما رأى، على أن الثابت عنه في صحيح مسلم كما تقدم أنه قال: لم أبت ليلة إلا ووصيتي مكتوبة عندي، والذي احتج بأنه لم يوص اعتمد على ما رواه حماد بن زيد عن أيوب عن نافع قال: «قيل لابن عمر في مرض موته: ألا توصي؟ قال: أما مالي فالله يعلم ما كنت أصنع

---

(١) التنجيز: هو القضاء والإتمام، يعني فعله في الحياة وعدم الانتظار إلى الموت.

(٢) رواه سعيد بن منصور موقوفًا بإسناد صحيح، ورواه النسائي ورجاله ثقات.

فيه، وأما رِباعي[١] فلا أحب أن يشارك ولدي فيها أحد »[٢]. ويجمع بينه وبين ما رواه مسلم بالحمل على أنه كان يكتب وصيته ويتعاهدها، ثم صار ينجز ما كان يوصي به معلقًا، وإليه الإشارة بقوله: «فالله يعلم ما كنت أصنع في مالي».

واستدل بقوله: «مكتوبة عنده» على جواز الاعتماد على الكتابة والخط ولو لم يقترن ذلك بالشهادة. وقال القرطبي: ذكر الكتابة مبالغة في زيادة التوثق، وإلا فالوصية المشهود بها متفق عليها ولو لم تكن مكتوبة والله أعلم.

وفي الحديث منقبة لابن عمر لمبادرته لامتثال قول الشارع ومواظبته عليه، وفيه الندب إلى التأهب للموت والاحتراز قبل الفوت، لأن الإنسان لا يدري متى يفجؤه الموت، لأنه ما من سن يُفرض إلا وقد مات فيه جمع جم، وكل واحد بعينه جائز أن يموت في الحال، فينبغي أن يكون متأهبًا لذلك فيكتب وصيته، ويجمع فيها ما يحصل له به الأجر ويحبط عنه الوزر من حقوق الله وحقوق عباده، والله المستعان[٣].

---

(١) الرباع هي الدُور.
(٢) قال ابن كثير: أخرجه ابن المنذر وغيره وسنده صحيح.
(٣) فتح الباري لابن حجر: ١١/١٩٠-١٩٥.

جزء من وصيتي

إليكم معشر القراء جزءًا من وصيتي، كتبتها بعد النظر والتأمل، فعسى أن تكون مفيدة لبعضكم، كتبتها - وكتابتها عليّ واجبة- لما فيها من بيان حقوق الناس عليّ، وودائعهم عندي، ولم أظهر لكم منها إلا ما يمكن إظهاره، والله المستعان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب الموت على كل الخلائق، وجعله خاتمتهم مهما طالت بهم المسالك، وسبحان الله العزيز القاهر، قضى على عبيده بزيارة المقابر، وجعلها مأواهم مهما طالت بهم الأعمار، وتوالى عليهم الليل والنهار، ودار بهم الفلك الدوار.

وأشهد أن لا إله إلا الله العظيم، الحليم الكريم، الخبير العليم، الواحد الحكيم، له الملك والملكوت، والقوة والعظمة والجبروت، والكبرياء والرَهبوت، مع الحلم والرَحَموت.

جَلّ أن يكون له بداية، وعظم أن تكون له نهاية بل هو باق سرمدي أبدًا سبحانه.

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله، هو في الأنبياء واسطة العقد، ودرة القلادة، وأتى بشرع محكم له الريادة والسيادة، صلوات الله وسلامه عليه عدد ما خلق ربي وما هو خالق،

وعدد ما في السماوات والأرضين من الخلائق، وعدد قطر الأمطار، وورق الأشجار، وما أخفى الليل وأظهر النهار.

ورضي الله تعالى عن صحابته الأبرار، مصابيح الظلام ونجوم السماء، الجيل الفريد الذهبي الذي لم ولن يتكرر في تاريخ البشرية منذ آدم إلى انقطاع الدوران، ونهاية الزمان.

ورضي الله عن آله الطاهرين، الغر الميامين، حماة الدين، وعِتْرة خير النبيين صلى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين.

ورحم الله - تعالى- التابعين الخيار، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم برحمته وفضله ومنّه وإحسانه لا عن استحقاق ولا عمل.

أما بعد:

فأقول أنا العبد الفقير، الضعيف الحقير، الذي لا يملك لنفسه موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولا يستطيع أن يتحرك حركة ولا يسكن سكنة إلا بإذن مولاه العظيم، محمد بن حسن بن عقيل من آل موسى أقول: إني أشهد أن لا إله إلا الله، مؤمنًا بها، متيقنًا منها، عن بحث وتنقيب لا عن وراثة وتقليد، نظرت في ملكوته الجليل فعلمت أنه ليس له شبيه ولا نظير، ولا ينبغي أن يكون له ولد أو مثيل أو عديل، بل كل الخلائق له مربوبة، وبإرادته مقهورة، وبرحمته مشمولة، ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه:٦-٨].

- وأومن بأسمائه الحسنى وصفاته العليا غير مؤول لها، ولا معطل ولا مشبه، بل أُمِرُّها كما جاءت، وأتبع سبيل السلف في صنيعهم بها، فكل خير هو في اتباع طريقتهم واقتفاء سبيلهم.
- وأشهد أنه تعالى أنزل كتابًا جليلًا حكيمًا، هو خاتمة كتبه وأعظمها، وأجلها وأحكمها، وأشملها وأبركها، وأبينها وأبلغها، وضمن لمن أخذ به السيادة، ولمن جعله إمامًا له الريادة، ولمن حكّمه القيادة والإمامة، ولمن تدبره الحكمة والسعادة، وأما من جعله خلف ظهره ودَبْرَ أذنه فقد حلت عليه الشقاوة، واشتمله البؤس والتعاسة، وكان أمره في سِفال، وانتظم في سلك الجُهال، مهما حاز من معارفَ وعلوم، ومكتشفاتٍ وفنون.
- وأشهد أن هذا القرآن العظيم هو كلام الله - تعالى- غير مخلوق، أنزله جبريل الأمين على قلب نبيه ﷺ ليكون للعالمين نذيرًا، وللخلائق هاديًا وبشيرًا، فلما زاغت عنه أمة الإسلام ضاعت، ولما حَكّمت غيره وتركته ساءت وأساءت، وضاقت بها الدنيا بعد أن كانت وكانت.
- وأَقْدُمُ على الله تعالى بإذنه وأمره وأنا مُقِر بما أخبر به في كتابه، مؤمن بمحكمه ومتشابهه، ومسلمٌ تسليمًا بكل أخباره وقصصه.
- وأرد القبر مؤمنًا بعذابه، راغبًا بنعيمه ورياضه، أظن بالله -تعالى-

الظن الحسن، أنه يتجاوز عني ويدخلني جناته بغير حساب ولا سابق عذاب، وأن يرفعني في عليين مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، فكم دعوت الله - تعالى- في الأمكنة الفاضلة، والأزمنة الجليلة أن يميتني شهيدًا بعد طول عمر وحسن عمل، وأن يتجاوز عني، فإن كتب الله - تعالى- لي الشهادة في ساحات الوغى فما أعظمها من نعمة، وما أحسنها من منة، وإن كتب لي شهادة بطريق غير ذلك فما أحسن ما هنالك، وإن أراد بي شيئًا غير ذلك، وقضى عليّ بميتة البعير الهالك فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا وليُعلم أني قد اتُهمت من قِبَل بعض الناس باتهامات في عقيدتي، ورموني بما أعلم أني منه بريء، فأنا - ولله الحمد- على عقيدة السلف، وطريقتهم هي التي درستها وتعلمتها، وعقلتها وتفهمتها، ثم أُشربت حبها منذ صدر شبابي، ودرّستها مرارًا وتكرارًا لجمع من تلاميذي وأحبابي لا أدين بغير ذلك، فمهما اتهمني أحد فإنه أساء فهم كلامي وحالي، وأنا بريء مما به رماني، والله تعالى الموعد، وما أحسن ما قال أبو العتاهية الشاعر رحمه الله تعالى:

إلى ديـــان يوم الدين نمضي   وعنـــد الله تجتمـــع الخصـــوم

هذا موجز ما جرى، ومن أراد التفصيل فليقف على مجموع ذكرياتي التي ستصدر تباعًا، إن شاء الله تعالى.

وهذا وإني أوصي أهلي من زوج وأولاد، وأقارب وأصهار وأرحام، وأوصي أحبابي بالتزام هذه العقيدة السلفية، والطريقة النبوية، فهي أسلم وأعلم وأحكم وأعظم، والله موفق من شاء إلى ما شاء.

وأوصيهم بعدم النوح عليّ، وأن يدعوا لي، وأن يعملوا أعمالًا من البر يهدونها إليّ مرة بعد مرة، على قدر طاقتهم، وبما في وسعهم، وأن يسلكوا بي في دفني وتشييعي سلوك السلف لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون، وأوصيهم ألاّ يُقصِّروا في الوقوف على قبري وسؤال الله أن يثبتني، فلا يعجلوا بالذهاب، فإن المكث مدة والدعاء من جملة السنن، هذا إن مت في غير ساحات الشرف والجهاد، فقد سألت الله تعالى ذلك ★ سنين متطاولات، والله المستعان سبحانه:

فيارَبِّ إنْ حانَتْ وفاتي فلاَ تكُنْ ... على شَرْجَعٍ يُعْلَى بُخْضر المطارفِ

ولكن قبري بطن نسر مقيله ... بجو السماء في نسور عواكفِ

وأمسي شهيدًا ثاويًا في عصابة ... يصابون في فج من الأرض خائف

إذا فارقوا دنياهم وفارقوا الأذى ... وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف

وأما أبنائي وبناتي فإني أترك لهم الله تعالى جل جلاله، وأوصي الكبار منهم بالصغار، وإن تركت واحدًا منهم يتيمًا فلتشتد عنايتهم به وليعظم التفاتهم إليه، وليشمله حنانهم وعطفهم؛ ففي ذلك الأجر العظيم، إن شاء الله تعالى.

وليُجتهد لمن بقي من بناتي بلا زواج في تزويجهم الرجال الصالحين

الأكفاء، لا كفاءة النسب بل كفاءة الدين.

وأوصي الأخوة أن يكونوا متحابين خاصة مَن كانوا إخوة لأب فإن ذلك مظنة الشقاق والعداوة، وليعلموا أن رضائي عليهم مضاعف إذا اجتمعوا وتحابوا، والله الموفق.

وأوصيهم بتقوى الله تعالى فإني علمت من عمري كله أنه لا ينفع المرء إلا التقوى، وأنه مهما تقرب إلى الله تعالى بشيء فلن يتقرب إليه بأحسن من التقوى، وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين، وللخلق أجمعين، فقد قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[النساء:١٣١].

وهي وصية نبينا ﷺ فقال بأبي هو وأمي: «**اتق الله حيثما كنت**».

وأوصيهم بالابتعاد عن الكبائر، فهي حفرة النار، ومقربة من غضب الجبار، وهي سوأة في الدنيا والآخرة، وهي آكلة الحسنات، ومُسيلة العبرات، ومجلبة للندم، ومكثرة من الهم والغم.

وأوصيهم بعدم الإصرار على الصغائر فهو - أي الإصرار - من جنس الكبائر؛ والمعافي من كل ذلك، والمنجي مما هنالك التوبة النصوح التي ليس معها رجوع إلى الذنب، بل تقلب كل السيئات إلى الحسنات فما أعظم دين الإسلام وما أحسنه.

وأوصيهم بحسن الخلق، فإنه بضاعة رائجة في الدنيا والآخرة، وهو المقرب إلى عُليا درجات الجنة، وهو المعوض عن قلة التعبد التي ابتُلينا بها في هذه الأعصار، ومَن كان منهم في خلقه شيء فإنه بالرياضة لنفسه يزول إن شاء الله تعالى فإن الحلم بالتحلم، ووسيلته إلى ذلك التعرف على فوائد حسن الخلق في الدنيا والآخرة.

وأوصيهم بعدم الركون إلى الدنيا فإنها غرّارة، وهي دار الغرور، ومركب الشرور، إلا لمن عمل فيها بطاعة الله تعالى، وليحذروها فإن زمانهم فيها سريع الانقضاء، والله المستعان وعليه التكلان.

وأوصيهم بعدم الرضا بالظلم، وعدم الميل إلى الظلمة وفعالهم ولو مقدار ذرة، وأن يتبرأوا من كل أشكال الظلم فإن عاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة، وهو أشد أنواع الذنوب بعد الشرك إذهابًا للحسنات وتحملًا للسيئات.

وأن يجعلوا مِن دينهم ودأبهم مساعدة المسلمين في كل مكان يستطيعون الوصول إليهم فيه الأَوْلى فالأَوْلى.

- وأوصي أولادي من ذكور وإناث بكتبي التي كتبتها خيرًا، فليحاولوا نشرها في الناس قدر استطاعتهم، وليستشيروا في ذلك العالمين منهم، فإن لم يوجد بينهم عالم بالكتب ونشرها فليستشيروا أهل العلم، وليبدأوا بأحبابي ممن بقي من إخواني، فإنهم أبعد عن الحسد، وأقرب إلى البر والرأفة بي.

هذا وليعلم الناس أني صرفت في تصنيف كتبي جل شبابي وكهولتي، وهي مني بمنزلة الولد، وإني لأرجو أني لم أصنفها بطرًا ورئاء الناس، ولم أؤلفها لسمعة ولا لمنزلة دنيوية، ولا لطلب مال فإني لم أكن آخذ عليها مالًا بفضل الله تعالى إلا الطبعة الأولى من كتاب «نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء» فهي المرة الأولى والأخيرة التي أستلم منها مكافأة لكتاب صنفته، وإنما ألفت ما ألفته ابتغاء وجه الله تعالى، أحسب أني صنعت ذلك كذلك، والله المعين على الإخلاص واليقين.

ثم إني أوصي ولدي الأكبر بالنظر فيما للناس عليّ من حقوق، وأن يقضي عني ديني إن وُجِد، وأن مالي الذي تركته في هذه الدار إنما هو كالآتي...

الفهرس

الفهـــــرس


مركز
إبصار
للنشر والتوزيع
ebsar2015@gmail.com
00201062532813
دار
حنين
المملكة العربية السعودية
a_hanen@hotmail.com
ISBN 978-977-6581-68-5
9789776581685